في بناء القصة الفنية

د. شعيب إدريس الصادق علي

الملخص

تعد القصة الفنية من أقدم ألوان النشاط الذهني عند الإنسان، وهي وسيلة من وسائل التعبير الفني، ينثرها الكاتب محملة بما يشغل الناس من أمور الحياة، وما تتصف به نفوسهم من خلال وأخلاق؛ لينصح أو يرشد أو يعظ أو ينقد أو يلاحظ، وهي بهذا لوحة فنية جميلة، تتمدد على صفحتها ألوان الحياة، والقصة القرآنية تتوافر على منهج فني ذو قوانين عامة، ومعايير خاصة في بناء القصة الفنية، ابتداءً من الحاضر الروائي، وانتهاءً بنقطة التنوير، وما بينهما من أسس وتقنيات، وسورة يوسف عليه السلام وقصته، تلفتنا إلى آيات في حيز بناء القصة الفنية، حيث يبتدئ الحاضر الروائي في جملة السرد المكتنزة بالإشعارات والإيحاءات بما سيكون من قادم الأحداث، حيث تدفع الحكاية وتنميها حتى تصل إلى نقطة التنوير، وتتفرد أحسن القصص في التعامل مع المتسع الزمني الذي لا يزال يشكل عقبة أمام المشتغلين في هذا الفن، وهي تنظم أحداث التتابع الزمني بدءا وانتهاء، وقد تميز السرد في أحسن القصص بالشمولية والإحاطة، وانتقل إلى نقطة معينة ألح عليها السرد، وهي تبرئة يوسف عليه السلام من تهمة ألصقتها به امرأة العزيز، ولكني استل منها الدليل اللغوي؛ لأنه يكشف كل غموض، ويزيل عن المسالة كل لبس.

تمهيد

العمل الروائي نشاط مدرك مسبقاً، أي أن الكاتب يرتب العناصر والأسس الفنية التي يستخدمها في الحبكة الفنية للقصة التي تبدأ في التخلُّق بين يديه، وللتيسير رأيت تقسيم الحبكة الفنية إلى معقدين(١) رئيسين: الأول المعقد الأفقي والثاني المعقد الرأسي.

المعقد الأفقي: وفيه يرتب الكاتب الأحداث حسب ورودها في الرواية أولا فأول، ويراعي الكاتب في هذا الاتجاه أن يجيب على السؤال، ويتميز هذا السياق أن الأحداث فيه ترتب ترتيباً زمنياً، حيث يراعى أولويات تخلُّق الحدث، ثم توالي أجزاؤه خلال تمامها، ويسمي هذا التعليل بالعلية الزمنية (الزمن التعاقبي).

المعقد الرأسي: ونعني به سلسلة توالي التعليلات خلال شبكة العلاقات في متوازيات دلالية ذات عمق، وتبرز هذه الشبكة تسويغ وقوع الحدث تسويغاً فنياً، والكاتب مجبر بطريقة ما، أن يجيب على سؤال يفرضه قانون الاحتمال(المقيم) في العمل الروائي، وهذا القانون يطرحه القارئ المتذوق دائما، أعني السؤال الذي يطلب الغاية من الوقت الذي يريد أن يعرف العلة ؟ وبصورة أدق، إنه السؤال المركب ذو الاتجاهات المختلفة يبحث عن التعليل، ويستفهم عن علة الأحداث وغايتها، ثم لا يقنع إلا إذا تأكد من صلة الحدث، وما يتعلق به بالغاية العامة للرواية، ومن هنا أطلقت عليه المعقد الرأسي.

نلاحظ أن على الكاتب دمج هذين المعقدين دمجاً مزجياً، يحقق التلاحم بينهما، والسؤال الذي يطرح نفسه: كيف يحقق الكاتب هذا التلاحم بين المعقدين الأفقي والرأسي؟ إن عمل الكاتب القصاص أن يحدث هذا التداخل الفني بين الأحداث الأساس والأحداث الطارئة، وكذا الشخصيات المحورية، والأخرى الطارئة، وهذا العمل يقضي أن لا يكون استدعاء الطارئ الفني على اختلاف أنواعه؛ إلا إذا خلقت المناسبة لإدخاله أو خلق المناخ الفني، بحيث تتداخل الأحداث والشخصيات تداخلاً متناسباً ومناسباً لوقته ومناسبته ؛ لأن الكاتب مطالب في الحال أن يجيب علي سؤال تفرضه طبيعة العمل الروائي، لماذا كانت حركة الحدث في هذا الاتجاه، وليست في اتجاه آخر ؟

ولما كان العمل الروائي عملاً إرادياً، فإن من حق القارئ أن يسأل الكاتب عن كل الظواهر الفنية التي يجدها تتحرك على مسرح القصة، لا سيما صلة هذه الظواهر بالغاية العامة من القصة، وتتجلى لباقة الكاتب القصاص في إحكام الصلة بين الظواهر والغاية العامة من القصة التي

أنشأها، وإلا لكانت الأدوات التي يوظفها الكاتب كمّا ثقيلاً، إذا تكاثرت لا يستطيع السيطرة عليها أو توجهها، ومن ثَم فإن تبعثر الأحداث وتناثر أجزاء القصة، يظل الشبح الذي يخيف كتاب القصة.

إن أكثر المواقف إحراجاً لكاتب القصة يكمن في قدرته على تحديد الوقت المناسب لإدخال الطارئ الفني (العنصر أو الأداة الجديدة)، ومن الملاحظات الفنية التي تسمو بالرواية (الإشعار الفني)، وهو المعني الحقي الذي توحي به عبارة السرد القصصي سواء أكان سرداً أم مشهداً روائياً أم طارئاً، والكاتب يخلق واقعية فنية تمثل واقعية معيشة، وهو يمثل بهذه الواقعية فرضية فنية تكتنز بالدلالات والإشعارات والمعلومات العامة التي تحمل غاية معينة، ولكي ينجح الكاتب لا بد من صدق الفرضية الفنية صدقاً لا يقبل الطعن أو التكذيب، ونعني بالطعن عدم قدرة السرد القصصي الإجابة على السؤال : لماذا جاء الكاتب بهذا الحدث؟ أو لماذا لا تستطيع الأدوات الفنية أن تقنع القارئ المتذوق بما تتوافر عليه من شروط؟

والقصة القرآنية تتوافر على منهج فني ذو قوانين عامة، ومقاييس خاصة في اتجاه بناء القصة الفنية، ابتداء من الحاضر الروائي وانتهاء بنقطة التنوير وما بينهما من أسس وتقنيات في بناء القصة الفنية.

القصة الفنية :

تعد القصة الفنية من أقدم ألوان النشاط الذهني عند الإنسان، ولو أنك سألت نفسك متى نشأت القصة؟ لأعياك الجواب، ولكننا نتحدث عن القصة الفنية ونشأتها.

بسط كثير من المشتغلين في العمل الروائي والنقاد والكتاب من الغرب ومن عالمنا العربي مفاهيم كثيرة للقصة الفنية، نظروا لها وقعدوا لها القواعد وقننوا القوانين، فق قيل: (إن الرواية مثال خلقي عن الحياة الخيرة المثالية النافعة التي عاشها أشخاص مُغْفَلون)(٢)، أما أير فاينج.هـ.بوخن يقول: (الرواية شكل لا يعرف، بل يكتشف خطوطها واتجاهاتها ومضمونها... وليس لها موضوع أقدس أو أدنس؛ لأنها تعديل لكل شيء، ففي وسعها أن تكون أي شيء، وإذا كان العالم أُبدع من العدم، فليس نشوء الرواية بأقل تطرفاً)(٣)، ويقول تشارلتن: (إن القصة حكاية تروي بالنثرً وجهاً من وجوه النشاط والحركة في حياة الإنسان، فخير لها أن تقص قصة عادية عن الإنسان العادي الحقيقي، كما تجري حياته في عالم الواقع المتكرر كل يوم)(٤).

أما كتاب القصة العربية والمشتغلون في مجالاتها فلهم جملة من الآراء أهمها قول الأستاذ محمود تيمور: الرواية ذلك اللون الفني الأدبي الذي يصور كيف يمارس الإنسان عيشه على ظهر الأرض، وماذا يجري في وليجة نفسه من منازع، وعلى أي المناحي يستجيب للأحوال والملابسات من حوله، ومن ثَم كانت القصة في وثاقة صلتها بظواهر المجتمع البشري، وفي تجلياتها لخفايا النفس الإنسانية وأعماق الوجدان، من أقوى الوسائل تعبيراً عن الحياة، وأسرعها تصيداً للتيارات الجديدة في أفاق الفكر وأعماق الوجدان، وأبعدها أثراً في توجيه العقول والأذهان(٥)، أما الدكتور محمد زغلول سلام فيعرف القصة بقوله:(الرواية نموذج فني يتصل بكثير مما يهم الناس مما قد يضمنه الفنان عمله، فالقصة على هذا تجمع الفن إلى شيء آخر هام، فهي تعطي اللذة والمتعة الجمالية التي يعطيها كل عمل فني إلى جانب ما لها من خاصية أخرى تتصل بما يشغل الناس ويهمهم في الحياة)(٦)، ويقول الدكتور طه حسين: (ليست القصة حكاية للأحداث وسرداً للوقائع كما استقر على ذلك عرف النقاد والكتاب، وإنما هي فقه حياة الناس وما يحيط بها من ظروف وما يتتابع فيها من الأحداث)(٧)، فالقصة وسيلة من وسائل التعبير الفني، ينثرها الكاتب محملة بما يشغل الناس من أمور الحياة، وما تتصف به نفوسهم من خلال وأخلاق؛ لينصح أو يرشد أو يعظ أو ينقد أو يلاحظ، وهي بهذا لوحة فنية جميلة، تتمدد على صفحتها ألوان الحياة، حياة الناس وأنماط سلوكهم وصور أفعالهم بكل أنواعها، ومن ثم فهي مرآة للحياة إذا أحسن نصبها رأينا على صفحتها أحسن المناهج؛ لتقويم الحياة ونخلها من الشوائب.

تعتمد القصة القرآنية على منهج فني ذو قوانين عامة، ومعايير خاصة في بناء القصة الفنية، ابتداءً من الحاضر الروائي، وانتهاءً بنقطة التنوير، وما بينهما من أسس وتقنيات، وسورة يوسف وقصته، تلفتنا إلى آيات في حيز بناء القصة الفنية، حيث يبتدئ الحاضر الروائي في جملة السرد المكتنزة بالإشعارات والإيحاءات بما سيكون من قادم الأحداث، حيث تدفع الحكاية وتنميها حتى تصل إلى نقطة التنوير، ففي قوله تعالى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً

وَالشَّمسَ وَالْقَمَرَ رَأَيتُهُمْ لي سَاجِدينَ قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيطَانَ للإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَكَذَلكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمَكَ منْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ منْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (٨)، يتوافر الحاضر القصصي ليشعرنا بجملة من الإشعارات والإيحاءات التي تقص علينا ما سيكون من أمر يوسف عليه السلام، وأهم هذه الإشعارات:(الرؤيا "النبوءة" - تحذير يوسف من إفشاء أمر رؤياه وما يمكن أن يترتب على هذه الرؤيا - اجتباء يوسف - علم يوسف تأويل الأحاديث)، وتشكل هذه الرؤى نسيج الحبكة الفنية القصصية في أحسن القصص، وتتحدث قصة يوسف عليه السلام عن أربع رؤى: (رؤيا يوسف، رؤيا الفتيين اللذين دخلا مع يوسف السجن، رؤيا الملك العجيبة التي مهدت ليوسف لكي يتولى خزائن الأرض في الدولة المصرية القديمة).

وقد لعبت هذه الرؤى دوراً خطيراً في إثارة جملة من الأحداث الرئيسة معللة تعليلاً زمنياً مباشراً، وتعليلاً سببياً حقيقياً، دون أن تغفل عن تنمية الحكاية التي وعدنا بها الحاضر الروائي، وهي حكاية النبوءة بإجتباء يوسف عليه السلام، بهذه الرؤي تكامل البناء الفني حيث كانت رؤياه النبوئية مثاراً للحدث المتنامي، إذ منها انطلقت الأحداث تتنقل في بيئاتها المختلفة أحياناً سريعة، وأحياناً وئيدة تتأنى؛ لتقول شيئاً هاماً، منهجاً تربوياً أو حكاية حضارة سادت ثم بادت، أو لتكون ثبتاً تاريخياً يدحض دعاوة كاذبة، وأخيراً تصف لنا نظام دولة داخلي وخاص، وهي في كل هذا لا تنسى أن تؤدي دورها الفني على أحسن وجه.

وأبدأ في تأمل ظاهرة تخلق الحدث أو تحديد المناخ الذي يتولد فيه الحدث، فالحوار السرد الذي يمهد ذهن المتلقي؛ لكي يسمع حديث إخوة يوسف عليه السلام وهم يتناجون، قال تعالى:(إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) (٩)، تعاونا على تحديد أبعاد المشهد، في حين أن السرد أغفل الحديث عن شقيق يوسف عليه السلام مقدماً يوسف بين يدي المتلقي باعتباره هو بؤرة السرد والحدث على السواء، فعندما يتقن يعقوب من نبوءة ابنه يوسف عليه السلام، جعل يرعاه بعنايته ويكلوه بحنانه، فظن إخوته (بنو إسرائيل) أن أباهم لا يحبهم بالقدر نفسه الذي يحب به يوسف عليه السلام، ولما كانت أفعال بني إسرائيل سيئة، فقد جاءت ظنونهم مطابقة لسوء أفعالهم، فقالوا في أبيهم قولا سيئاً، قال تعالى: (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (١٠)، لكنهم قبل هذا القول السيء،(قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (١١)، لقد قرر الأبناء العاقون التخلص من أخيهم يوسف عليه السلام؛ لأنهم ظنوا ظناً سيئاً، (لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا)، ظنوا أن أباهم لا يعاملهم بالرفق الأبوي نفسه، لذا أجمعوا أمرهم على التخلص من يوسف عليه السلام (اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا)، وذلك ليخلو لهم وجه أبيهم (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ)، وكأني بالنص القرآني الكريم يبين لنا منهجاً تربوياً في المعاملة بين الأبناء، فأبرز السرد حقيقة المشاعر التي يكتمها إخوة يوسف حياله، وأبرز الحوار تعليل هذه العداوة، فضلا عن إبراز منهج تربوي يتعلق بتربية الأبناء وما يجب على الآباء نحوهم، ويستجيب أخوة يوسف عليه السلام لدافع الحسد الذي حركة حب يعقوب ليوسف عليهما السلام؛ فاتفقوا على التخلص منه بالقتل أو بسواه، ومن ثم ذهبوا إلى أبيهم وقالوا (يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَينَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَو كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)(١٢) بالمنهج نفسه (الحوار والسرد) تبدو صفات بني إسرائيل وملامح بيئتهم البدوية، وتتكشف أبعاد الشخصية الجماعية (بني إسرائيل) من لؤم وخسة طبع وسفاهة في التفكير والإدراك، وهذه الصفات وتلك الملامح تبدو في مشاهد متحركة، فالإخوة الأعداء يتآمرون على أخيهم، ويحتالون

على أبيهم، ويتخلصون من أخيهم كما صور لهم شيطانهم، متلمسين ما سبق لسان أبيهم به في قوله تعالى:(وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)، ثم يرجعون إلى أبيهم وهم يبكون، (وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ) (١٣)، مستثمرين ما قد قاله أبوهم، (إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(١٤)، أما بيئة بني إسرائيل، فقد وردت في جملة قالها يعقوب، (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)، وفي جملة قالها بنو إسرائيل (... فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ...)، وقد أوردت الآيات السابق ذكرها، عن طريق الحوار والسرد عرض مشهد المؤامرة، وبيئة بني إسرائيل وصفاتهم، عرضاً فنياً نقرؤه من جانبين فني وتاريخي، فمن الجانب التاريخي يحدثنا القرآن الكريم بأن بني إسرائيل أهل بادية(١٥)، وقد أبرز السرد هذه الحقيقة أربع مرات، ثلاث منها بالإشعار الفني، (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)، (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ)(١٦)، (فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ)(١٧)، ومرة واحدة بالنص التعبيري، (البدو) قال تعالي: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)(١٨)، لقد كشف السرد والحوار عن ملامح البيئة التي عاش فيها بنو إسرائيل، إشارةً وتصريحاً بأنها بادية الشام، والقرآن الكريم بهذه الإشارة وبذاك التصريح، يعطينا ثبتاً تاريخياً، بأن فلسطين لم تكن أرض اليهود كما يزعم اليهود مستندين إلى توراتهم، وأن أصلهم من البدو بالنص القرآني الكريم، ثم أنهم انتقلوا من البادية إلى مصر واستوطنوها ردحاً من الزمن، حتى طاردهم فرعون، فخرج بهم نبي الله موسى عليه السلام إلى سيناء، حيث كان منهم العصيان، فعاقبهم الله بالتيه، أما الجانب الفني في التعبير القرآني فقد تذرع بنو إسرائيل بقول أبيهم (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ)؛ ليهربوا من جريمة وحشية ارتكبوها في حق أخيهم وأبيهم معا؛ لأنهم تخلصوا من الابن، ولم يتركوا للأب المحزون فرصة أمل؛ ليبحث عن ابنه المضيع، أو يعيش على أمل لقائه، ولكن هذه الذريعة على فسادها، أتاحت للتراخي الزمني فرصة؛ لكي يلعب دوره في تسليم يوسف عليه السلام إلى السيارة التي أسرته بضاعة، وشرته بثمن بخس دراهم معدودة إلى عزيز مصر، حيث يبدو الحدث من جديد يدفع بيوسف عليه السلام إلى جهة الإجتباء التي أوردها الحاضر القصصي في بداية القصة.

نظرية الزمن

تتفرد أحسن القصص في بناء القصة الفنية في التعامل مع المتسع الزمني الذي لا يزال يشكل عقبة أمام المشتغلين في هذا الفن، فاعتقد أن أغلب كتاب القصة لا يوفقون كثيرا في التعامل مع المقاسم الزمنية التي يجعلونها حدودا لـ (بدء وانتهاء) الأحداث في قصصهم، حيث تتسرب من بين أناملهم أحقاب زمنية كبيرة دون أن يشيروا إليها أو يذكروها، ومنهج أحسن القصص ينظم أحداث التتابع الزمني بدءا وانتهاء، وهو يلح على الزمن الممثَّل والزمن الممثِّل سواء أكان هذا الإلحاح من السرد أم من الحوار في النص القرآني الكريم، فقد تعامل مع الزمن تعاملا واضحا يخلو من التعقيد، يعطي ملامح دقيقة لحساب الزمن في بناء القصة الفنية.

وقد أعطى السرد والحوار الفترات الزمنية حقهما من الإلحاح حين يتلبثان تارة، ويتعجلان تارة أخرى، فهناك فترات زمنية تمر في لمحة خلال إشارة، وأخرى تمر في متسعاً زمنياً يتجاوز العقد يغفلها السرد والحوار دون أن يمنحاها إشارة عابرة، وبرهة زمنية قد تكون ساعة تزيد أو تقل، يتلبث فيها السرد أكثر من دقيقة ونصف الدقيقة من الزمن الممثِّل؛ ولننظر إلى الكم الزمني الذي احتاجته أحداث أحسن القصص؛ لكي تتم فيه وهو أربعون عاماً موزعة علي النحو الآتي:(ثلاثة عشر عاما منذ رأى يوسف رؤياه – النبوءة – حتى بلغ أشده؛ ذلك إذا افترضنا أن يوسف علي السلام كان في السادسة من عمره عندما رأى رؤياه، وبعد ثلاثة عشرة عاما أصبح في التاسعة عشرة وهي (سن بلوغ الأشد)، وسبع أو خمس سنوات وهي (البضع من السنين) التي لبثها يوسف عليه السلام في السجن، حيث أنساه الشيطان ذكر ربه، فهذه خمس سنوات نفترضها ثم نضيفها إلى السنوات الثلاث عشرة الأولى، فهذه ثمانية عشرة عاماً، ثم هناك سبع سنين (يزرعونها دأبا) و (سبع شداد) و (سنة فيها يغاث الناس وفيه يعصرون)، فهذه خمس عشرة سنة أخرى، نضيفها إلى الثمانية عشرة الأولى؛ فيكون مجموع الكم الزمني ثلاث وثلاثين سنة، وهى المدة التي استغرقتها أحداث القصة، نضيف إليها سبع سنوات؛ لتغطية الفروق بين ما افترضناه، وما ذهب إليه غيرنا

في هذا الاتجاه، فيكون العمر الافتراضي أربعين سنة، هي الحدود الزمنية التي تمت فيها أحداث أحسن القصص، أما كيف تعاملت أحسن القصص مع هذا الكم الزمني الافتراضي، فعندما نتابع تتابع الزمن في أحسن القصص، نجد منهجها لم يتعامل مع المقاسم الزمنية بالاهتمام نفسه، فهو يلح على مقسم، ويغفل آخر إلا من إشارة عابرة أو إيحاء بين السطور، ونضرب لذلك مثلا بـ (الزمن الممثّل) الذي يحكي جريمة بني إسرائيل، وهي تخلصهم من شقيقهم يوسف عليه السلام، فهو لم يستغرق سوى نصف دقيقة، هذا إذا حسبنا الزمن الممثّل الذي يصف الجريمة، وكيفية حدوثها من تآمر واحتيال ومحاورة واتفاق، أما إذا حسبنا نبأ حدوثها، فإننا لن نجد سوى إشعارا بتنفيذها فقط؛ ولنحسب هذا الزمن الممثّل قال تعالى:(فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَاتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) (١٩)، نحن أمام نص تعبيري كريم، لم يتلبث لحظة في وصف الحدث، بل أرسله في إشارة تشير أن بني إسرائيل قد نفذوا الجريمة كما اتفقوا، وإيحاء بأن يوسف عليه السلام له لقاء مع إخوته في قادم الأحداث، هكذا أخبرنا السرد والحوار معا بل بإشارة أن فعل الجريمة الوحشي قد تم، ثم متسلسلاً بين كلمات العبارة النصية دون تصريح أو تلبث عند التفاصيل، لكن حدث الجريمة هذا على خطورته لم يأخذ من الإلحاح مثلما أخذ وصف بني إسرائيل من تلبث، لقد تأني السرد عند حسد بني إسرائيل وحقدهم وخداعهم لأبيهم، وعقوقهم وغدرهم وتآمرهم...الخ.

وإذا حسبنا الزمن الممثّل الذي يحكي هذه الصفات سنجده ثلاثة أضعاف الزمن الذي أوحى إلينا بتنفيذ الجريمة؛ لأن الإلحاح على صفات الشخصية أهم من الإلحاح على أفعالها؛ لأن المتلقي إذا وقف على صفات الشخصية، توقع أن يكون سلوكها على النحو الذي ينسجم مع تلك الصفات، فالسرد يوحي إلينا بإشعار فني، كيف تم حدث الجريمة من دون تفصيل في أقل من خمسة عشر ثانية؟ لكنه يتلبث في وصف بني إسرائيل، فيحدد صفاتهم في زمن يماثل ثلاثة أضعاف زمن الجريمة، إذ جعل يحكي لنا بإلحاح صفاتهم من حسد وحقد وخداع وعقوق وتآمر ولؤم... الخ، وبهذا التهيؤ صار يكتفي بالإشعار الفني أو الإشارة التي تقول له كل شيء دون أن تحكي شيئاً، ولنحسب معا الوقت الذي تستغرقه هذه الآيات قال تعالى: (لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَحَافِظُونَ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (٢٠)

ولو تأملت هذه الآيات لوجدت أن إبراز صفات بني إسرائيل كان شغلها الشاغل، كما أوحت إلينا بما كان يضمره بنو إسرائيل من شر لأخيهم، بل إنهم احتالوا لتنفيذه، ثم ذهبوا بعيداً حيث البئر، واغتنموا الفرصة وتخلصوا منه خلسة، وهذا السرد يفاجئنا بالنبأ قال تعالى:(وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (٢١)، ولو حسبت الزمن الممثل الذي أوحي بتنفيذ الجريمة لما وجدته يزيد عن خمس عشرة ثانية بالتمام والكمال، وأن السرد قد طوي الزمن الذي استغرقته السيارة للانتقال من بادية الشام إلى مصر مكتفياً بإشعارنا، قال تعالى:

(وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) (٢٢)، وهكذا كلمح البصر انتقل بنا السرد من بيئة بدوية إلى بيئة مدنية، تستخدم في بيوتها الفتيان للخدمة، والسكاكين للأكل، والسجن للمجرمين وتسجن فيها حتى العلماء والأنبياء المظلومين؛ ولكنها في كل الأحوال حضارة ذات نظم وقوانين.

الطارئ الفني: وهو العنصر القصصي

العارض الذي يدخل فجأة على حكاية القصة؛ ليلفت النظر إلى صفة أو حقيقة أو نمط من السلوك يتصل بالبطل، الطارئ الفني نجده ذا وجهين : (موضوعي وفني) فضلاً عن الإشعارات الفنية التي يرخيها على مناخ القصة، فالوجه الفني: يتجلى في نسيج الحكاية، حيث يحاك من غرز الحبكة الفنية التي تحمل حكاية القصة نحو نقطة التنوير، وتتمثل قدرة الكاتب في تهيئة الظرف الفني؛ لإدخال الطارئ بيسر ومنطقية لا تتعارض مع جملة السياق، والوجه الموضوعي يتجلى في قدرة الطارئ الفني على إثراء المتلقي بالموضوع المقنع الذي ينير جانباً مظلماً من جوانب حياة الشخصية أو يكشف عن صفة ذات صلة بحكاية القصة، بحيث يجدها المتلقي ضرورية يستحيل الاستغناء عنها، فإذا غُيِّب الطارئ الفني أو أُسقط فُقد جزء هام من الحكاية، مما يترتب عليه انقطاع الصلة بين أجزاء الحكاية الواحدة، أو جعل القارئ المتذوق في حيرة من أمر إتمام الحدث، ولتوضيح هذه العبارة نستل السيارة كعنصر طارئ، كيف كان السرد مشغولاً بوصف وقائع الجريمة وما ترتب عليها من احتيال إخوة يوسف عليه السلام على أبيهم حين أدخل عليه (وجاءت سيارة) قال تعالي: (قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) (٢٣)، وبينما كان التدفق الروائي مشغولاً بسرد وقائع الحدث (الجريمة) في حوار شغل المتلقي وشوقه لمتابعة مصير يوسف عليه السلام وجدنا التدفق الروائي يستدعي بيئة الجريمة البئر فجأة، ولكن بفنية معجزة، إذ يتوقف فجأة عن حكاية الجريمة؛ ليقول (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (٢٤)، وعندما نتأمل هذه السيارة (الطارئ الفني) نجده أدى دورين في آن واحد: الأول فني من حيث أنها نابت مناب الحوار في إتمام الحكاية، ففاجأتنا أن يوسف عليه السلام حي يرزق، ولكن المفاجأة كانت بالإشعار والإيحاء، قال تعالى: (قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ)، ولكن – مهلا – فإن هذا الدور لم ينته بعد، فعلى السيارة أن تحمل يوسف عليه السلام من بيئة الجريمة (البئر) إلى بيئة الاصطفاء والتمكين إلى مصر، ولذا فاجأتنا السيارة مرة أخرى على أنها كانت تقوم بعمل يتفق مع طبيعتها البيع والشراء، قال تعالى: (وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ)، وهكذا تغادر السيارة مسرح الحدث دون عودة، حيث يعود السرد من جديد يقص علينا (وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا)، واعتقد أن منهج القصة القرآنية قد تعامل مع كل العناصر الفنية الطارئة بهذا الميزان الدقيق، من ذلك شقيق يوسف عليه السلام الحاضر الغائب في آن واحد، والفتيان اللذان دخلا السرد وخفايا الحكاية في القصة القرآنية.

إن الاهتمام بالسرد في حيز القصة الفنية يأتي على رأس الأولويات بالنسبة لأهل هذه الصنعة؛ لأنه الأداة والوسيلة لكل من المبدع والمتلقي للفهم والتفهيم، ثم أن السرد هو الواسطة؛ لتفسير ما غمض من الأبعاد والظواهر المباشرة وغير المباشرة، ففي كثير من الأحيان يتراجع الحدث، وتعجز الشخصية بشروطها الحاضرة في السرد عن كشف الغامض أو تجلية الحقيقة، ومن ثَم يتدخل السرد لكي يؤدى هذه المهمة، وبذا يصبح السرد مطالب بتفسير كل الظواهر التي تتحرك على مسرح القصة؛ وتعليل كل الأفعال والحركات والسكنات التي يقف عليها القارئ، وبهذا تصبح تجلية الغموض وإماطة اللثام عن وجه الحقيقة من أهم وظائف السرد سواء أكان ذلك بالإلحاح عليها أم بإرسالها خلال النظام اللغوي الذي يختاره المبدع، وقد تميز السرد في أحسن القصص بالشمولية والإحاطة؛ لأن الذي أبدع القصة هو الله سبحانه وتعالى، وهو يخبرنا عن صفوة من مخلوقاته يعقوب ويوسف عليهما السلام، وعن ثلة من الناس بنو إسرائيل، والعزيز المصري، وزوجه والذي هو من أهلها، والملك لمصر وآخرون، وقد كشف السرد كل الخفايا التي تتعلق بشخصيات القصة عامة، وشخصية يوسف عليه السلام خاصة، وأسرب إلى نقطة معينة ألح عليها السرد، وهي تبرئة يوسف عليه السلام من تهمة ألصقتها به امرأة العزيز، وبعض المفسرين(٢٥) وهو منها براء، فقد ألح السرد على تبرئته بجملة من الأدلة(٢٦)، ولكني استل منها الدليل اللغوي؛ لأنه يكشف كل غموض، ويزيل عن المسالة كل لبس، فقد لعب النظام اللغوي دوراً هاماً في كشف حقيقة (مسألة الهمِّ) التي أشغلت بال العلماء،

واهتموا لها كثيراً، وانقسموا إزاءها إلى فريقين: فريق يرى أن الهمَّ كان همًّا نفسياً، وفريق يرى أن الهمَّ كان همًّا بدنياً، ولو تأملت قوله تعالى (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...)؛ وجدتها واضحة الدلالة إلى تبرئة يوسف عليه السلام، وإليك تفصيل ذلك علي النحو الآتي :

عندما نتأمل كلمة (همَّ) نجدها في السياق القرآني الكريم قد أسندت إلى ضميرين مختلفين، وجملتين مختلفتين، ففي الجملة الأولى أسند الهمُّ إلى ضمير الغائب المستتر الدال على المفرد المؤنث هي (همَّت)، وفي الجملة الثانية أسند الهمُّ إلى ضمير الغائب المستتر الدال على المذكر هو (همَّ)، وقد اعتادت القاعدة على إسناد الهمّ إلى الضمير البارز المتصل الدال على المتكلمين إذا كانت الغاية من الهمِّ واحدة، أما إذا اختلفت الغاية، فإن إسناد الهمّ يكون إلى ضميرين مختلفين، ومن هنا جاء قوله تعالى: (هَمَّتْ بِهِ)، أرادت من الهمِّ فاحشة (وَهَمَّ بِهَا)، أراد من الهمِّ الابتعاد عنها، ولو كانت الغاية من الهمِّ واحدة؛ لأسند الهم إلى الضمير البارز المتصل فقيل: (ولقد همّا ببعضهما لولا أن رأى برهان ربه)، وهذا لم يرد في النص القرآني الكريم، وتوكيداً على ذلك قوله تعالي:)وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ من دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (٢٧)، وهكذا أسند الفعل استبق إلى ألف الاثنين، والفعل ألفى إلى ألف الاثنين أيضاً؛ لأن الباب في الآية الكريمة كان غاية كل من امرأة العزيز ويوسف عليه السلام؛ لذلك فإن الصياغة على هذا النحو تؤكد أن الغاية من الهمِّ عند كل من الهامين مختلفة؛ لتوحي بالقصد وتصدر حكمها في هذه المسألة.

والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا هذا الإلحاح في السرد على تبرئة يوسف عليه السلام، إن الإجابة على هذا السؤال تنهض في قوله تعالي:(ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)، ولم تكن هذه الرغبة رغبة استخلاص يوسف عليه السلام لنفسه في طلبه الأول (أتوني به)، قال تعالي: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) (٢٨)، ثم قال تعالى : (وَمَا أُبَرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) (٢٩)، وبهذا التخيير - تخيير يوسف عليه السلام - تكون الغاية من تبرئة يوسف قد تجلت بوضوح، فقد تيقن الملك أن يوسف عليه السلام عليم بأمور الاقتصاد، وحافظ للأمانة، ورأى الملك أن يوسف عليه السلام يتسم بصفات الرجل المسؤول، ومن ثَم كان عرضه واختياره ليوسف عليه السلام، وبهذا دخلت الحكاية مرحلة جديدة تذهب مباشرة إلى تحقيق النبوءة بقضها وقضيضها، وظل الحدث يدور بين مصر وبادية الشام، حيث جاء بنو إسرائيل وأهلهم أجمعون، واستقروا في مصر بعد أن اعترفوا ليوسف وأبيهم عليهما السلام بخطئهم (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) (٣٠)، وقبل هذا الاعتراف: (قَالُواْ تَاللّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) (٣١)، هؤلاء هم بنو إسرائيل واختلاف مواقفهم بين الكذب والاحتيال.

وأخيراً يمكننا القول أن البحث في القرآن الكريم والكتابة فيه، ليست بالأمر الهين، لقوله تعالي: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً) (٣٢)

وأتمنى من الله عز وجل أن يوفقنا إلى ما فيه الخير والصلاح، وأن يعلمني ما فيه الخير للبلاد والعباد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش

١) أعني بالمعقد جملة الحوادث والعناصر الفنية التي يوردها الكاتب في السياق القصصي، ويعلل لوجودها تعليلاً سببياً ثم تعليلاً حقيقياً.

٢) نظرية الرواية مقالات جديدة جون هالبرين ترجمة الدكتور محي الدين صبحي منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي، دمشق، ١٩٨١م.ص١٧٠، ١٧٧

٣) مقالات في جماليات الرواية أير فاينج. هـ. بوخن: يريد هذا الكاتب أن يقول: إن الرواية تماثل العالم من حيث خلقها من عدم، ولكني أحسبه مخطئا فيما ذهب إليه، فالقصة واقع معيش يأخذ الكاتب مفرداتها من هذا الواقع (حدث وبيئة وزمن)، ثم يفترض منها واقعاً فنياً يحكي جملة فنية عن كل شيء؛ ليعدل بها أي شيء.

٤) فنون الأدب هـ. ب. تشارلتن، تعريب وشرح الدكتور زكي نجيب محمود، لجنة التأليف والنشر، الطبعة الثانية، ١٩٥٩م، ص١٤٠.

٥) فن القصص، محمود تيمور مكتبة الآداب، ص ٦٤

٦) دراسات في القصة العربية الحديثة أصولها اتجاهاتها أعلامها، محمد زغلول سلام، منشأة دار المعارف، ١٩٨٥م، ص ٥

٧) في النقد الأدبي د محمد البشبيشي ص١٢١

٨) سورة يوسف الآيات ٤- ٦

٩) سورة يوسف الآيات ٨-١٠

١٠) سورة يوسف الآية ٨

١١) سورة يوسف الآيتان ٨،٩

١٢) سورة يوسف الآيات ١١-١٨

١٣) سورة يوسف الآية ١٦

١٤) سورة يوسف الآية ١٧

١٥) ويقول بعض المؤرخين ينحدر اليهود من العرق السامي نسبة إلى سام بن نوح عليه السلام الذي ينسب إليه الأشوريون والعرب ويطلق علي اليهود العبرانيون أو العبريون أي البدو الذين يعبرون الصحارى طلبا للعيش من غير استقرار؛ وليميزوا عن أهل العمران، ولما استوطن بنو إسرائيل مصر عرفوا المدنية والاستقرار، وصاروا ينفرون من كلمة عبري التي تذكرهم بحياتهم الأولى حياة البداوة والخشونة، وأصبحوا يؤثرون أن يعرفوا ببني إسرائيل فقط، وإسرائيل هو نبي الله يعقوب الذي انحدرت منه أسباط بني اسرائيل وقبائلهم في الماضي..ينظر : راشد عبدالله الفرحان، الأديان المعاصرة، بيروت،١٩٨٨ م، ص ٦

١٦) سورة يوسف الآية ١٤

١٧) سورة يوسف الآية ١٧

١٨) سورة يوسف الآية ١٠٠

١٩) سورة يوسف الآية ١٥

٢٠) سورة يوسف الآيات ٧- ١٨

٢١) سورة يوسف الآيتان ١٩، ٢٠

٢٢)سورة يوسف الآية ٢١

٢٣) سورة يوسف الآيتان ١٧، ١٨

٢٤) سورة يوسف الآية ١٩

٢٥) الجامع لأحكام القرآن : تأليف أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٦٤ م]، ج ٩، ص ١٦٦

٢٦) قال تعالى : (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ) وقال تعالى: (إِن كَان قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ

وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) وقال تعالى : (قَالَتْ فَذَالِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ) وقال تعالى: (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ) وقال تعالى: (قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيهِ مِن سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ)

٢٧) سورة يوسف الآية ٢٥

٢٨) سورة يوسف الآية ٥٠

٢٩) سورة يوسف الآيتان ٥٣،٥٤

٣٠) سورة يوسف الآية ٩٧

٣٠) سورة يوسف الآية ٩٥

٣١) سورة الأسراء الآية ٨٥